

## الآباء يسهرون والأبناء ...

مع سدول مختلف الستائر على العام الدراسي، إستعادت ذاكرتي رسائل والدي، رحمة الله، وهو في موسكو، والتي كنت أتسلّمها، وأنا في لبنان، على وقع إمتحانات البكالوريا النهائية بفرعيها الأدبي والرياضيات، وبمنهاجيها الفرنسي واللبناني.

وإذا كان التراسل بين الأب والإبن أمراً طبيعياً، فإني رأيت في هذه الرسائل ما تجرد مشاركة القارئ بها. إليكم مقتطفات من بعضها كما وردت في حينه وليس بالضرورة بالترتيب الزمني.

وأبدأ برسالة تعبير عن الشوق الأبوي:

" موسكو ١٤ تشرين الثاني 1963

عزيزتي حيان ،

قبلات وأشواق. قبلات الحنان والعطف والتقدير، وأشواق الأبوة (والأنوثة) لوجهك الصبيح البسام، ولروحك الصافية المرحة، ولشخصك الحبيب يملأ البيت عافية وبشرًا. نحن هنا يا بني في وحشة من بعده لا توصف. كلما كرّت الأيام زاد شوقنا وتحركت الذكريات. أكتم عواطفي أمام أمك لثلا أهيج شجونها، ولكنها هي لا تفتّأ تذكرك، وتبكي فتبكي ! إن الفراق صعب يا بني، وعزاونا الوحيد أنك عاقل مدرك، وأن بقاوتك في بيروت بناء لمستقبلك. "

وننتقل إلى تحديد أصول المراسلة:

" موسكو ١٩ كانون الأول 1963

عزيزتي حيان ،

قبلات وأشواق. أخذت كتابك الأخير وفيه الإلادة المدرسية بأثلك مسجل هذا العام، وقد كنت أنتظرها بفارغ الصبر. أهنتك أولاً بعلماتك وأرجو أن يدوم نشاطك واجتهادك، فنحن في عصر لا ينجح فيه إلا المجهدون. وأرجو أن ترسل لي ورقة علماتك لأنني أحب الإحتفاظ بها.

... أراني مضطراً لإعطائك بعض النصائح في طريقة تحرير الرسائل:

1- وضع التاريخ في رأس الصفحة الأولى.

2- أخبرني في مطلع رسالتك عن وصول رسالتي الأخيرة وضع تاريخها أيضاً.

3- خصوصاً، أعد قراءة رسالتي قبل الجواب عليها، أو ضعها أمام عينك وأنت تكتب الجواب. لأنني لاحظت أنك تهمل الجواب على معظم ما أكتب إليك. "

ومنها إلى أهم النصائح في خوض غمار الإمتحانات:

"موسكو 9 أيلول 1963

عزيزي حيان ،

أخذت رسالتك فامتنأ قلبي سروراً. خطها جميل وانشاؤها سلس ولغتها صحيحة. إنها أول رسالة باللغة العربية من ولد لي. وعلى أن الأمر عادي جداً، فقد سررت بها لأننا كنا حتى الآن نتراسل بالفرنسية. فثابر يا ولدي على الاعتناء باللغة العربية. إنها لغتنا ومبعد فخرنا وركيزة قوميتنا العربية وحافظة كنوز حضارتنا.

تصلك رسالتي وأنت في معمعة الانتخابات. فهل لي أن أكرر لك بعض النصائح؟ خذ وقتك بقراءة نص السؤال وتمعن به ملياً. انتبه للعمليات الحسابية (الجمع والطرح والضرب والقسمة) في الرياضيات ومسائل الفيزياء أو الكيمياء، وانتبه للفاصلة (virgule) إذا كان العدد كسوراً منوية، فهذه الأخطاء البسيطة تؤثّر كثيراً في العلامة، لأن المصلح يزيد جواباً صحيحاً، ولا يكفي بأن تكون طريقة الحل صحيحة. واحفظ المبادئ العامة (Théorèmes) والصيغ (formules) وراجع المسابقة قبل أن تسلّمها للناظر وتترك القاعة. وفي الأدبين العربي والإفرنجي، فكر كثيراً لتفهم الموضوع ولا تخرج عنه، واكتب بخط واضح دون أن تتشطب وتصلح، وذلك يقتضي أن تكتب مسودةً أولاً، ولا تكثر من الإشارة بأبيات الشعر، بل اقتصر على المهم، وحاول أن يكون إنشاؤك راقياً مع الوضوح التام، ولا تطل الشرح في التفاصيل، فأربعة من الصفحات كافية لمعالجة الموضوع، وأقصى العدد ست صفحات. والله يوفقك يا ولدي، ويقرّ عيني بك. "

ومع متابعة الأب الدقيقة والدؤوبة:

"موسكو 12 حزيران 1964

عزيزي حيان ،

قبلات وأشواق. أخذت رسالتك أمس ... وقد فهمت من رسالتك أن إمتحانات البكالوريا الفرنسية قد بدأت الإثنين في 8 الجاري، أي أنك قد انتهيت من الخطى الآن وأنت تنتظر النتيجة. فأرجو لك النجاح يا بني، وأضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يثبّك على جهودك. وأرجو أن تبرق لي بالنجاح فلنا على آخر من الجمر. وإذا كانت النصائح العملية لم تعد تجدي، لأنك قدمت المسابقات، فإني لأشعر بجدواها للبكالوريا اللبنانيّة، وهي بعد لا يفوتك معناها: خذ وقتك وفكّر ملياً بالموضوع واكتب مسودةً وصلحها قبل أن تتقّلها على البياض. وفي أعمال الرياضيات والعلوم، عاود التفكير بعد حل العملية واعمل التجربة إذا أمكن ... أعمل كل الوسائل لتكون أكيداً من صحة ما تقدّم. وفي الإمتحانات الشفوية لا تخف ولا تجّب بسرعة، بل فكر قليلاً بالموضوع. والله ولّي التوفيق. "

... وقد حان وقت القطاـف...

" موسـكو 23 حـزـيرـان 1964

عزيزـي حـيـان ،

قبلـات وأـشـواقـ. الـيـوـمـ أـخـذـتـ الـبـرـقـيـةـ الـمـنـتـظـرـةـ، فـأـهـنـكـ يـاـ بـنـيـ بـالـنـجـاحـ، وـأـرـجـوـ أـنـ يـكـتـبـ لـكـ اللهـ مـثـلـهـ فـيـ الـبـكـالـوـرـيـاـ الـلـبـنـانـيـةـ فـتـقـرـ بـكـ أـعـيـنـاـ وـتـنـالـ أـنـتـ ثـوابـ جـهـوـدـكـ. إـنـ أـجـمـلـ شـيـءـ يـقـدـمـهـ الـمـرـءـ لـنـفـسـهـ وـذـوـيـهـ وـوـطـنـهـ وـرـبـهـ هـوـ النـجـاحـ فـيـ الـعـلـمـ الـذـيـ وـقـفـ نـفـسـهـ عـلـيـهـ."

وـإـذـاـ كـانـ مـنـ الـطـبـيـعـيـ مـلـاحـظـةـ شـدـدـةـ الـحـرـصـ الـذـيـ كـانـ يـبـدـيـهـ وـالـدـيـ الـحـبـيـبـ عـلـىـ الـعـلـمـ وـالـتـعـلـيمـ وـالـتـرـبـيـةـ وـالـتـقـاـفـةـ، بـحـكـمـ خـلـفـيـتـهـ الـتـقـاـفـيـةـ وـالـمـهـنـيـةـ وـالـوـظـيـفـيـةـ، وـهـوـ الـأـدـيـبـ وـالـشـاعـرـ وـالـفـيـلـسـوـفـ وـالـنـاـقـدـ الـأـدـبـيـ، وـهـوـ الـقـانـونـيـ وـالـسـيـاسـيـ، وـهـوـ وزـيـرـ التـرـبـيـةـ الـذـيـ حـرـصـ عـلـىـ فـتـحـ الـمـارـسـ وـإـنـشـاءـ الـجـامـعـةـ الـلـبـنـانـيـةـ، فـأـعـجـبـ كـيـفـ كـانـ يـغـدـقـ مـنـ وـقـتـهـ لـمـتـابـعـةـ تـعـلـيمـيـ، وـكـانـ فـيـ هـذـهـ الـأـلـثـنـاءـ سـفـيرـ بـلـادـهـ لـدـىـ الـإـتـحـادـ السـوـفـيـاتـيـ، مـعـ كـلـ مـاـ تـعـنـيـهـ هـذـهـ الـمـهـمـةـ مـنـ إـنـشـغـالـاتـ عـلـىـ أـهـمـيـتـهـاـ فـيـ تـلـكـ الـحـقـبـةـ مـنـ التـارـيـخـ. كـيـفـ كـانـ لـهـ أـنـ يـكـونـ الـأـسـتـاذـ وـالـتـلـمـيـذـ مـعـاـ، الـأـبـ الـمـرـشـدـ وـالـأـخـ الـقـلـقـ، الـلـجـنـةـ الـفـاحـصـةـ وـالـمـمـتـحـنـ. كـيـفـ؟

أـبـيـ الـحـبـيـبـ، سـلـمـتـ يـدـاـكـ.

أـبـيـ الـحـبـيـبـ، رـحـمـكـ اللهـ.

حـيـانـ سـلـيمـ حـيـدرـ

بـيـرـوـتـ، فـيـ 15ـ تـمـوزـ 2025ـمـ.